مقاصد الحج

تقديم

أناهيد بنت عيد السمبري

غفر الله لها ولوالديها

ألقيت في ١٤٣٧

من الهجرة النبوية الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https: //anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الثالث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما زلنا نناقش مقاصد الحج، وأردنا بالمقاصد: الغايات والأهداف المقصودة من وراء العبادات.

وقد اتفقنا على أصل المقاصد وهو تنمية الإيمان وزياته، كل العبادات مقصدها تنمية أركان الإيمان وزيادتها.

الداخل للحج يرى كل أركان الإيمان أمامه، من الإيمان بالله إلى الإيمان باليوم الآخر، إلى الإيمان بالقضاء والقدر، إذا ناقشنا الإيمان بالرسل نجد أن الحج مرتبط بإبراهيم -عليه السلام- ونجد أن الحج مرتبط بالأنبياء، وإذا ناقشنا موضوع الإيمان بالكتب فإن الحج وصفه وتفصيله أتى في كتاب الله، بل إن الحج هو الركن الوحيد من أركان الإسلام الذي قد أُفرد له سورة.

والمتأمل في سورة الحج يرى كيف أن السورة كلها دائرة حول الذلّ والخضوع، حتى أن السورة تتميز بأنها السورة الوحيدة في القرآن التي فيها سجدتين، والسجود وما يلحق به إشارة إلى أن كل شيء في الكون يسجد لله ويذكر الله، وكل ذلك موجود في سورة الحج، إشارة إلى معاني الحج المطلوبة ومقاصد الحج المطلوبة، فالذي يدرس سورة الحج يصل

للمقاصد بوضوح، يرى كيف يزيد الإيمان؟ ما هي أنواع الناس في الإيمان؟ ما هو حال الناس الذين يجادلون في الإيمان؟

- هناك صنف من الناس يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين.
- والصنف الثاني: ثاني عِطفه ليضل عن سبيل الله.
- والصنف الثالث: يعبد الله على حرف.
- والصنف الرابع: ثبَّته الله.

فهذه الأصناف من الخلق تجدها في الدنيا وتجدها في الحج وتعرف بها المؤمن المخلص من الدعيِّ الكاذب، إلى آخر ما جاء في سورة الحج مما يدلنا على أن الحج يُنمي الإيمان بالكتاب، من جهة أن في سورة الحج موصوف كل ما هو مطلوب منك، فادرس سورة الحج قبل أن تذهب إلى الحج، وتذكر الأنبياء ومواقفهم، وتذكر قصة بناء إبراهيم -عليه السلام- للكعبة التي وردت في سورة البقرة، وفي سورة الحج، وفي السورتين أتى الكلام عن الحج وأتى الكلام عن بناء البيت.

إذًا أنت مرتبط بالرسل، ومرتبط بالكتاب، ومرتبط باليوم الآخر، فكل مشاهد الحج عبارة عن مشاهد لليوم الآخر، أنت مرتبط بالقضاء والقدر، كل ما نتقلب به في الحج إنما هو

قضاء وقدر، ودائمًا نذكر أنفسنا بأن الأخذ بالأسباب مطلب مهم في الشريعة، الشريعة تأمرك بالأخذ بالأسباب، بل الشريعة تعتبر الأسباب أحد طرق الوصول إلى رضا الله؛ لأن الآخذ بالأسباب مؤمن بالله، يعلم أن الله هو صاحب الأسباب، وهو الذي يسبب الأسباب، هو الذي ينفع بالأسباب، هو الذي يعطي ثمرات الأسباب، فالأخذ بالأسباب مأمور به في الشريعة.

ماذا نفعل بين الأسباب وبين القضاء والقدر؟ يقال لك: خذ كل ما تستطيعه من الأسباب واستعن بالله، واعلم أن الأمور مُقدّرة من عند الله اختبارًا لك، ما في تناقض أبدًا بين الأخذ بالأسباب والإيمان بالقضاء والقدر، والحج هو كل هذه العملية. من الأسباب:

- أن تأخذ حملة تثق في أهلها وتعرف أنهم بعيدون عن البدع وبعيدون عن الخرافات وبعيدون عن تعمّد مخالفة السنة.

ثم حينما تصل وتبتلى بأحد بجانبك مخالفًا للسنة أو أحد يناقشك ويجادلك في دين الله أو أحد يعترض على كتاب الله أو أحد يعترض على سنة رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فهذا بلاء نزل عليك أنت ابتدأت وأخذت بالسبب وبحثت عن حملة متأكدًا أنها بعيدة عن البدع والخرافات، ثم وصلت

وجدت أنه في الإدارة حصل شيء، أو من الجالسين بجانبك أو المجاورين لك في الحملة كانت هذه اعتقاداتهم وتفكيرهم، وهذا الشيء ليس بإمكانك تغييره، فهذا قضاء وقدر.

هنا عند القضاء والقدر خذ مرة أخرى بالأسباب:

- استعن بالله، أسأل الله أن يكفيك شرّهم، تجنبهم لا تدخل في جدال معهم، بيِّن الحق، وإن لم يقبلوا منك بعد بيان الحق، فلا تهتم، لا تدخل في مناقشات، لا تشغل قلبك بالأحقاد، ابتعد عن أي جدال يُفسد عليك حجك.

لماذا أتى هذا من بعيد وجلس بجانبك -وأنت أصلًا- تبغض من يتكلم في هذا الموضوع ؟ اختبارًا لك من الله، حتى تستعين بالله وتستغيث به وتطلب منه -تعالى- أن يدفع عنك الشر، وحتى تدخل في اختبار كاختبارات الدنيا التي يعيشها الناس.

خرجت من حملتك، فُوِّجتم الآن -نسأل الله أن يسلمنا جميعًا وأن يوصل الحجاج والمعتمرين إلى أماكنهم وهم سالمون- من منى إلى عرفة في التفويج ترى النّاس على اختلاف أوضاعهم، الزحام، التدافع، اختلاط الرجال بالنساء، عدم احترام كثير من الرجال لخصوصيّة النِّساء مع أنهنّ مع محارمهنّ، خذي في هذا كله بالأسباب:

- ابتعدي عنهم، حاولي أن تقفي بطريقة تبتعدين فيها عن الرجال ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.

استعيني بالله، اسألي الله أن يُبعدهم عنك، ابذلي جهودك بالاستغاثة بالله ألا يحتكّ بك الرجال، أنت تأخذين بالسبب وفي نفس الوقت الاستغاثة الاستغاثة، فهي عبادات:

- السبب مع الاستغاثة.
- السبب مع طلب الله -عزَّ وجلَّ-.

هذه هي العبادة: تأخذين بالسبب ولا تعرِّضي نفسك للاحتكاك بالرجال، واخرجي مع مَحْرَمَك والزَمِيه، وفي نفس الوقت لو حصل شيء خارج عن إرادتك، ابقي اسألي الله أن يحفظك، يحميك، يسترك، ما يجعلك تحتكين بالرجال.

فالمقصد أن نأخذ بالأسباب، ونحن مؤمنون بالقضاء والقدر، يعني بدأت تشعر أنك أخذت بالسبب -مثلًا- وأخذت معك ماء وأنت خارج، وهذه من الوصايا المهمة:

أنت خارج من منى إلى عرفة لا بد أن تعرف أنك ستسير مسافة قريبة أو بعيدة، يسيرة أو طويلة، ما يضرك لو حملت معك قوارير ماء؛ أخذك للماء أخذ بالسبب، لكن هل سينفعك هذا الماء أو لا ينفعك؟ الله الذي ينفعك، لا تطمئن لأخذك الماء لكن اطمئن لأنك فعلت ما أمرك به الله بأخذك

بالأسباب، فإذا فعلت الأسباب نفعك الله بالأسباب. ثم وأنت تحمل قوارير الماء تدخل في اختبار، تسمع أحد يقول: "هل يوجد أحد معه ماء؟!" وأنت تشعر أنك بعد قليل ستعطش، وفي لحظة -نحن الحمد لله ربنا منعم علينا وعندنا ماء وطعام وغذا وكل شيء، يكفي بلد!- هذه القارورة تكون غالية بالنسبة لنا، يأتي الآن الجهاد (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)[1]، واعلم أن هذا رزق، وأنك إن أعطيت السائل سيرزقك الله أكثر، وقل لنفسك: "أنا بإمكاني أن أصبر لكن هؤلاء في حالة اضطرار".

تأتي أمور كثيرة تدخل في العبادات، أخذك الماء كان أخذًا بالسبب، لكن هذا الماء ينفعك في الآخرة أكثر مما ينفعك في الدنيا، هنا تأتي الأقدار والاختبارات والامتحانات التي لا بد أن نتصورها.

هذا يشبه الدنيا أنت لن تأكل إلا ما قد قُسم لك، ولن تشرب إلا ما كُتب لك، ولن تنام إلا في المكان الذي اختاره الله لك، لكن قبل أن تصل إلى ذلك عندك اختبارين:

الاختبار الأول: أنك تأخذ بالسبب ائتمارًا لأمر الله.

الاختبار الثاني: أن هذا السبب تحتاج فيه إلى قوة الاستعانة بالله. يعني مع وجود السبب بين يديك يجب ألا تعتمد عليه، فهذا اختبار صعب! كيف تكون في يدي قارورة الماء،

---

[1]() الحشر: 9.

وأقول: "الله يسقيني لن تسقيني هذه القارورة!" هذا شيء صعب، لكن في الحج هذا واضح جدًا، تكون القارورة في يدك: تسقط في الزحام، مَحرمك يقول لك: "لا تمدي يدك، لا ترجعي للوراء، ولا تنظري في الأرض، انظري أمامك"، وهذا صحيح لو جلست تبحثين عن أغراضك لدُهستِ! ليس هذا هو الوقت المناسب.

ويحصل في مواقف منى أشياء عجيبة في وقت الخروج من منى إلى عرفة؛ لأننا نكون جميعًا متفقين، نقول: "لا تخرجوا إلا إذا خرجنا جميعًا"، وفي لحظة تفترق الإرادات وتفترق المواقف، ويفترق الناس، كل هذه أقدار علينا، بالرغم من الأخذ بالأسباب ووضع الخطة، فكن واثقًا بأن كل هذه الأسباب لن تنفعك إلا ما نفعك الله به، قد تتذكر شيئًا في آخر لحظة وتأخذه، ثم طوال الطريق تقول: "الحمد لله الذي ذكرني به!"

كل هذه المواقف تقول لك: إن الحج يُنمي الإيمان بالقضاء والقدر، فقط لمن يقرأ الأحداث كما ينبغي، ليس لمن لا يقرؤها كما ينبغي كل تفكيره أن يجد أحدًا يتهمه، يتهمه بالمشكلة التي حدثت له:

هو يتأخر عن جماعته، ويقول: "ضيعوني!"

هو يذهب يمينًا ويسارًا، ويقول: "أهملوني!"

أنت تأتي في لحظة تجتهد كل الاجتهادات الممكنة، كل شيء تفعله كما ينبغي لكنك تُحبس، مثلًا: مما هو معروف مؤخرًا في السنوات الأخيرة أنك تخرج مع حملتك، مخيم الحملة في منى إلى عرفة يجب أن تكون معك بطاقة حتى تدخل إلى مخيم عرفة، ليس معك بطاقة فأنت: مجهولة، لن يُدخلوك!

انظري كم بذلت من جهد وأخذت هذه الحملة ثم تقف عند الباب فلا يدخلونك، تقول: "صدقوني أنا معكم" وتظلين لربع ساعة، لنصف ساعة وفي قلبك أحقاد عليهم، مشاعر غضب منهم، وهو كله اختبار لكن الملك ملك الله، وأنت في نفسك تقول: "بعد قليل سيتأكدون أني معهم وأفعل كذا وكذا" ليس كذلك لكن قل: "الملك ملك الله"، أنت اشتريت هذا المكان بمالك وهو حقك ومع ذلك قد يُحبس عنك، وغالبًا نكون قادمين من منى إلى عرفة مُنهكين مُرهقين والشمس والطريق والناس...ثم تقف أمام المخيم ولا يسمحون لك بالدخول حتى يأتوا بكشف الأسماء ويتأكدون إلى أن يدخلوك.

فحينئذ أنت فعلت السبب وأحضرت البطاقة لكن ضاعت منك قضاء وقدرًا، ماذا تفعل؟ استعن بالله، استغيث، اسأل الله أن يشرح صدورهم ليدخلوك، وأن تتيسر الأمور، لكننا نفكر

أن هذا حقنا وكان يُفترض أن يدخلونا، وهذا حق لنا كيف يؤخرونا! هو حق لا ننكر لكنك فرطت في السبب، تقول: "والله ما فرطت" فنقول: "نزل القضاء والقدر"، هنا عبادة الصبر، عبادة أن هؤلاء ما يملكون شيئًا، الملك ملك الله، الاستغاثة بالله، سؤال الله، إلى أن يفرج الله تعالى الكُرب، وهذه كربة بسيطة ثم تنفرج. وكرب الدنيا تشبه هذه، لكن المصيبة الكبيرة هي: كُرب الآخرة، عندما نحبس عن القطار يجب أن نتذكر الحبس على الحساب، عندما نُحبس عند باب المخيم نتذكر مثل هذه المواقف الحبس عن باب الله، أن ترى المخيم بالنسبة لك الآن كأنه الجنة ثم تحبس قِبله، فيتقطع فؤادك، تُحبس عن القطار فتخاف أن تفوتك عرفة، ثم تصل عرفة وتجد أنك في الخارج وأنهم لم يسمحوا لك بالدخول!

كثيرة في الحج مواقف الحبس عن الغاية، ومواقف التيه والضياع، وهذا الضياع الحسي يشبه كثيرًا الضياع المعنوي الذي يعيشه الناس التائهين، عندما نتوه في الحج نشعر أن الضياع مصيبة عظيمة وأن الهداية إلى مخيمنا حاجة عالية تفوق حاجة الطعام والشراب وغير ذلك، هذه الحاجة لا نشعر بها في الدنيا، في الدنيا لا نشعر بالحاجة إلى الهداية إلى الصراط المستقيم، نشعر بأن الهداية إلى الصراط المستقيم كأنها لا بد أن تكون موجودة! كأنها مُتحققة، حينما

نتوه في الحج نشعر بهذه المشاعر، بعض الناس يتوه عندما يذهبون من منى إلى عرفة، وأحيانًا بعض الناس يتوه عندما نذهب إلى منى لأسباب، من منى إلى عرفة يتوهون، من عرفة إلى مزدلفة يتوهون، يتوهون عن مزدلفة ويدورون حولها، ويصبح دخول عرفة أمنية! والناس يقولون: "دلونا على طريقة الدخول!" وتصبح الهداية إلى الطريق أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب!

يخرجون من مزدلفة ليذهبوا إلى منى ويصلوا إلى الجمرات، فيصبح الوصول إلى الجمرات ورميها حاجة عالية، يريدون أن يهتدوا إلى الطريق الذي يوصلهم إلى رمي الجمرات، رموا الجمرات الحمد لله، عائدون إلى المخيم، والناس هنا غالبًا أنهم يتوهون، وحادث الدهس السنة الماضية كان بسبب أن الناس خرجوا من الجمرات متجهين إلى مخيماتهم لكنهم لا يعرفون الطريق، فدخلوا في طريق مغلق وهو طريق القدوم وليس طريق الخروج.

فالحاجة إلى الطريق والهداية إليه حاجة فوق كل الحاجات، لكننا نعيش في الدنيا ولا نشعر بها، لا بالتيه ولا بالحاجة إلى الهداية لطريق رب العالمين ومن ثم لا نحرص عليه ولا نسأله.

لكن لو كنت عائدًا من مزدلفة بعد أن رميت الجمرات وضِعْتْ ماذا تسأل الله طوال الطريق؟ "يا ربي دلنا إلى أقصر طريق!" ثم يظهر لك المخيم فيقال لك: "لن تدخل من هنا لكن هناك في نهاية المخيم"، فلا تقبل وتقول: "لا تصعِّبوا عليّ الطريق وسهِّلوا ليّ!"، وفي أحيان كثيرة نحن من نُصعِّب الطريق على أنفسنا ونبعد أنفسنا عن الأبواب التي فتحها الله لنا، ويكون القرآن بين أيدينا نهتدي به فنتركه لسماع فلسفة فلان وكلام فلان، ها أنت تصعِّب على نفسك طريق الهداية!

وأنت ترى مخيمك يقول أحدهم لك: "اذهب إلى هناك لأجل الأمن"، هم بذلك لا يريدون أن يعذِّبوك، لكن حتى لا تحدث حالات الدهس التي تحصل من تصادم الذاهبين والعائدين، لكن أنت لا تقبل، وحتى لو قبلت فعلى مضض وفي قلبك ما فيه عليهم لأنهم منعوك، مهما كنا يبقى في قلوبنا شيء.

هذا الذي سنعيشه المفترض أن يحرك في أنفسنا بذور مهمة في الإيمان، الإيمان بالله، الإيمان بالكتب، الإيمان بالرسل، الإيمان بالقضاء والقدر، الإيمان باليوم الآخر، كلها مشاهد أنت تعيشها.

والحقيقة من أهم الأشياء التي يجب أن نلتفت لها: الإيمان بالرسل، بالإضافة إلى كلامنا حول أن هذه الأرض التي

نطؤها وطأها الأنبياء قبلنا، انظر إلى الصورة الموجودة الآن بوضوح: "راية المخيم"، أنت حتى لا تضيع لا بد أن تضع عينك على راية المخيم، ويقولون لك: "هذه الراية التي تميزنا"، فكلما تهت أو ابتعدت عينك تبحث عن اسم مخيمك، هذه الحالة التي يعيشها الناس، هذه الحالة تشبه تمامًا الناس وهم سائرون إلى رب العالمين، المفترض أن تكون أعيننا على سنة النبي الكريم -صلَّى الله عليه وسلَّم- ما نتعداها، ونعرف أننا لو تركناها ضِعنا، ونعرف ما معنى الضياع، لكن هل هذه المشاعر هي التي نعيشها في الدنيا؟! لا، نحن نعيش غالبًا حالتين:

الحالة الأولى: لا نشعر أن الهداية شيء خطير نحن بحاجة إليه!

الحالة الثانية: أن الذي يرشدنا في الهداية ليس النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-! غالبًا مرة النبي ومرة عقولنا، ومرة الفلاسفة، ومرة جيراني، ومرة هذا المصلح!

في مقابل أنك لو رأيت الموقف جيدًا في الحج تعرف أنك لن تهتدي إلا إذا سرت خلف صاحب الراية، وصاحب لواء الحمد هو نبينا -صلَّى الله عليه وسلَّم-، والذي يريد أن يجتمع بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ولا يردّ عن الحوض لا بد أن يحرص على متابعة السنة، ومُتابعة السنة ليست مجرد كلام!

تصور نفسك في المخيم لو قلت لهم: "عيني ستبقى على الراية ولن أبتعد عنها" ووعدتهم وعودًا كثيرة، ونزلت وقلت: "أنا خبير في منى أعرفها تمامًا"، ثم سِرت بنفسك وذهبت بنفسك، سترى ما سيحدث لك! الناس يعرفون الطريق المغلق، وأنت تذهب وحدك وتجد الطريق مسدودًا فتتركه وتذهب للثاني، في النهاية تصل ولا تجد مخيمك! هذه هي نفس الأحوال التي تحدث عندما نقول: "عقلنا يدلنا على طريق الله!"، كيف ذلك والرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- ما أُرسل للخلق إلا لنلتزم بسنّته، ليس كلامًا نقوله! فالذي لم يتعلم السنة وما هو بحريص عليها، وما هو مهتدٍ بها، مهما قال: "أنا متبع السنة"، فهو غير متبع للسنة على الحقيقة.

الحج مقصده تنمية بذرة الإيمان، الأشياء التي تسمعها وتراها معنوية في الإيمان والدين، تراها حسية في الحج؛ ولذلك هذه المدرسة حينما تدخلها يجب أن تخرج بزيادة إيمان من دروس كثيرة تعيشها، وخصوصًا مع تكرار الحج، لا تظن أن الاختبارات هي نفسها التي تُعاد على الحاجّ، بل تتنوع أشكال الاختبار، يعني السنة الماضية تعلمت كذا وكذا وانتبهت لكذا وكذا، هذه السنة أمر جديد يكشف لك حقائق الإيمان، فتجد نفسك كل مرة تجدّد فيها العمرة أو الحج تزداد بذرة إيمانك وتنمو.

اتفقنا على أن الإيمان بالله هو أعظم ركن من أركان الإيمان وهو الذي تظهر معالمه في كل شيء، وبدأنا من التلبية، وتناقشنا في التلبية وسرنا فيها.

ما هي مقاصدنا الأساسية في الحج؟

زيادة الإيمان، من الإيمان بالله إلى الإيمان بالقضاء والقدر.

- عندما وصلنا إلى الإيمان بالله وهو أول ركن من أركان الإيمان، تركناه وتناقشنا في كل الأركان.
- ثم رجعنا وتكلمنا عن الإيمان بالله، وهو توحيد الله، واتفقنا على أن التوحيد ظاهر جدًا في الحج، ابتداءً بالتلبية، وناقشنا التلبية بتفاصيلها.
- ثم بدأنا ننظر كيف أن توحيد الله -عزَّ وجلَّ- واضح في مواقف الحج من جهة أن أم القرى مكة تجمع الخلق، فأنت ترى آثار كمال الله.

لا زلنا سنتكلم عن التوحيد، ومع كلامنا عن التوحيد سنتكلم عن مقصد منفرد، وهو أيضًا داخل في التوحيد، يعني من مقاصد الحج: ذكر الله.

مقاصد الحج

(2) ذكر الله

وذكر الله من توحيد الله، فكأننا لا زلنا نشرح التوحيد لكن هذا مقصد منصوص عليه خاصة، لأن في الحديث عن عائشة -رضي الله عنها- قال رسول الله: «إنما جُعِلَ الطوافُ بالبيتِ والسعيُ بينَ الصفا والمروةِ ورميُ الجمارِ لإقامةِ ذكرِ اللهِ»[2].

فسنشرحه الآن على أنه مقصدٌ بنفسه. نبدأ بالكلام عن ذكر الله، نبدأ أولًا ببيان أن هذا المقصد الذي هو ذكر الله أتت نصوص كثيرة تدل عليه، مثلًا هذه الآية من سورة الحج يخبرنا الله تعالى فيها أن أحد المقاصد من الحج هو: (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ) جمع كل المنافع في كلمة واحدة فقط، ثم أمام المنافع كلها قال: (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ)، اللام في(لِّيَشْهَدُوا) لام التعليل كأنه يقال لذا شُرِّع الحج، (لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ)[3] وكذا فهمنا أن المنافع متعددة وذكر الله رأس كل المنافع التي نتكلم عنها بالتفصيل سواءً لرؤيتك لأشكال وألوان من الخلق، واجتماعك بالمسلمين واعتزازك بالإسلام، وكل هذه التفاصيل في جهة، وذكر الله في جهة أخرى، هذا المقصود

---

[2] () أخرجه أحمد (25080).

[3] () الحج: 28.

بالعطف أن المنافع كلها في جهة، وذكر الله في جهة، وهذا سيكون في أيام معلومات.

ننظر أيضًا لهذه الآيات في سورة البقرة، وانظر في كم موطنًا أتى الكلام عن الاستغفار، كم آية في سياق الكلام عن الحج، (فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ)[4] ، طبعًا لو فكرت في عرفة نفسها سيكون الدعاء أهم أنواع الذكر، قبل هذا الحدث الآن، قبل مزدلفة سيكون عرفة، أكثر شيء يميز عرفة هو الدعاء، وهو من أعظم أنواع ذكر الله، قبل عرفة سيكون منى والتلبية شعارها، فمعنى ذلك أن الذكر مستمر معنا في أيام معلومات.

حتى قبل منى في اليوم الثامن مشروع للحاج وغير الحاج من حين أن يدخل شهر الحج أن يُكثر من ذكر الله، إذًا لا بد أن نرى كيف نحقق هذا المقصد العظيم، لا بد أن نفهم أن هذا مقصد عظيم ولا بد أن نسعى في تحقيقه، وهنا نقصد تسعى لتحقيقه سواء كنت حاجًّا أو غير حاج؛ لأن هذا أحد مقاصد تشريع الحج، ويشترك فيها الحاج وغير الحاج، من جهة أنه ممدوح شأن الذكر للحاج وغير الحاج من دخول شهر الحج إلى انتهاء أيام التشريق، والحاج يكون شأنه أعظم من غير الحاج.

[4]() البقرة: 198.

(فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) ويعاد نفس الأمر (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ).

ثم يأتينا: (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس)[5] ثم (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) خرجتم الآن من مزدلفة (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)، قضوا مناسكهم ثم رموا الجمرات وعادوا إلى منى. ماذا تفعلون؟ (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا).

كلها أوامر أُمرنا بها في ثلاث آيات: (فاذكروا الله)، (واذكروه)، واستغفروه (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) ، (فاذكروا الله) كلها أوامر واضحة في الأمر بالذكر، وأيضًا في هذه الآيات: وصف لنا كيف يكون الذكر، ووصف لنا ما باعث الذكر.

سنرى عمومًا الذكر الذي هو مقصد:

ما معناه؟ كيف يكون؟ ثم نرى ما بواعثه الصحيحة؟

الذكر يكون:

- بالقلب واللسان.
- ويكون بالقلب فقط.
- ويكون باللسان فقط.

[5]() البقرة: 198-199.

مراتب الذكر درجات، نصف درجة الكمال أولًا، لكن أكيد الذي يذكر وما معه قلب خير من الذي لا يذكر، معناها لو ذكر الإنسان وقلبه ليس موجودًا أفضل ممن لا يذكر.

لكن نتكلم الآن عن أعلى درجات الذكر، وأعلى درجات الذكر منطلقها وبيانها موجود في الآيات: الذكر الذي يكون فيه الإنسان كما يحب الله ويرضى، ووصل فيه إلى تحقيق المقصد، لا بد أن يكون منطلق الذاكر قلبه وثمرته تكون على لسانه.

ما هي الدوافع إلى ذكر الله؟

الدافع الأول: التفكّر.

نفكر في الآية حتى نعرف كيف يكون هذا الأمر، الله -عزَّ وجلَّ- يقول: (فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ)، يعني الذاكر قبل أن يذكر، سيفكر في نعمة الهداية، سيفكر في آلاء الله، وعطايا الله، ونعماء الله، وفضل الله، سيفكر في حاله قبل الهداية، وحاله بعد الهداية، سيفكر في آيات الله المنتشرة حوله.

ثم من التفكير سيخرج الذكر، مثلًا عندما تجد أنك وصلت عرفة أو منى فهذه مشاعر قوية جدًّا، عندما تجد أنك وصلت منى والناس محبوسون عنها؛ لأنهم ما قدِّر لهم أن يحجوا

بعدما تفكر في منِّة الله لا بد أن يخرج من لسانك: "الحمد لله".

فهذا الذكر الذي وقع عليه فعل القلب، من الذي ابتدأ؟ القلب.

ابتدأ القلب في التفكير فكانت ثمرة التفكر ذكر الله، وذكر الله هو الذي يصلح القلب.

نكمل الآية: (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) الأمر بالاستغفار جزء من الأمر بالذكر، أُمرنا بالاستغفار علمًا بأن الله غفور رحيم، معناه أن القلب سيفكر مليًّا في رحمة الله، ومغفرة الله، ويفكر مليًّا في ذنوبه فيخرج الاستغفار من نفس عرفت ماضيها، وعرفت أحوالها، وعرفت خياناتها، وعرفت كيف أنها ما تركت شاردة ولا واردة إلا دخلتها، وعرفت عن الله أنه غفور رحيم، هذا بخلاف الذي يستغفر وهو لا يدري ماذا يقول، وأؤكد على أن من يستغفر وهو لا يدري ماذا يقول، هو خير من الذي لا يستغفر، لكننا نتكلم عن الكمال الآن، انظر للآية: (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) يعني من علمكم أن الله غفور رحيم، وعلمكم بأحوالكم، المفترض أن تستغفروا الله.

إذًا هذا أكيد سيأتي بعد تَفَكُّر فالإنسان لا يمكن أن ينزع نفسه من التفكير أبدًا، أنت الذي يميزك عن باقي المخلوقات أنك مُفكر لكن في ماذا تفكر؟ هذا هو السؤال.

أزمتنا في التفكير، لو يفكر الإنسان في حاله وقلة شكره وكثرة نعم الله، سيستغفر من قلة الشكر وسيكثر من الحمد، لو يفكر في بُعد الهداية عن أبنائه وأن هذا ضالّ، وهذا بعيد، سيلزم سؤال الله هداية نفسه وأبنائه وأبناء المسلمين فيأخذ أجورًا عظيمة، فيخرج الذكر من قلب مُتفكر، هذه الصفة الأولى للقلب الذي سيذكر كما ينبغي.

وواضح في الثلاث آيات:

أما الأولى: (فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) نفكر في ماذا؟ كنا ضالّين وربنا هدانا فنذكر ربنا ونشكره ونحمده على الهداية.

في الثانية: (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) سنذكر ذنوبنا ومعاصينا ورحمة الله فنستغفر.

في الثالثة: (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) لماذا كانوا يذكرون آباءهم في حالتهم؟ من العناية والاهتمام والحب والفخر، فأنت عندما تفكر في أن محبوبك المطلق على الحقيقة الذي أنعم وأعطى، أنعم عليك بالمحبوبات كلها:

- أنعم عليك بالطعام والشراب والنوم هذه الأشياء الأساسية.
- وأنعم عليك بالمكان الهادئ وأنعم عليك بالدين.
- وأنعم عليك بأحبابك من أبنائك وأحبائك وأصحابك.

كل هؤلاء أنت رزقتهم من رب العالمين، وهو -سبحانه وتعالى- الذي حفظهم وأعطاك إياهم وابتلاك بهم في بعض الاختبارات، لكن أعانك عليهم ويسر لك وجعلهم بابًا للأجر، فهو المحبوب المطلق -سبحانه وتعالى-، كانوا يتفاخرون بآبائهم ويرونهم مجدًا ويحبونهم وأنت تعتز بعبوديتك لله، وتفتخر بالوقوف عند باب الله، فهذا سيجعل ذكرك كثيرًا، أنت تذكر محبوبك وهم يذكرون آباءهم! تذكره لأنه محبوبك الذي تفتخر بعبوديته، ثم إنك تذكر الله طوال وقت الحج؛ لأنه اختارك، اصطفاك، ما ضاقت عليك الدنيا في لحظة ففزعت إليه إلا ويسرها لك، ومهما كانت الآلام -وهذا واضح في الحج- تضيق الأمور ساعة، ساعتين، ثم تفرج وترتاح، والله -عزَّ وجلَّ- ييسر لك أحسن الأبواب ويرزقك من حيث لا تحتسب.

حاج يقول: "خرجت من مزدلفة في الصباح، بعد أن صليت الفجر سريعًا" قالوا: "الآن الإفطار" قال: "أنا سأذهب سريعًا" ومشى، في طريقه إلى رمي الجمرات وجد تفاحة

كاملة، طيبة جيدة، استحى من ربه أن تكون مرمية في الأرض فأخذها ووضعها في ما يحمله ومشى، ثم تاه في الطريق وهو عائد يقول: "الله أمدني بهذه التفاحة" فوقف وأكلها وكان سيسقط من الجوع، يقول: "مالي وأغراضي ومخيمي من أحسن المخيمات، لكن التفاحة التي من الأرض هي التي انتفعت بها وكل ذلك لم أنتفع به!" لا ينفعك إلا الله.

فيظل يذكّر نفسه الذي رزقك تلك التفاحة في ذاك الوقت هو الذي ينعم عليك ويحفظك ويدلّك وليس المال الذي دفعته، وحتى مالك هو من نعمة الله، وهو أصلًا من رزق الله، والانتفاع ما هو إلا من بركات الله، فيبقى الإنسان تمر عليه المواقف وهذا الذي نقصده بأن الإنسان عليه أن يكون بصيرًا، كل موقف في الحج يدفعه لزيادة الذكر، فتجده ذاكرًا محقّقًا هذا المقصد.

ترى الناس حشودًا -سبحان الله خلقهم الله!- هؤلاء يسمعهم الله جميعًا حينما يدعونه، ويستجيب لهم على اختلاف ألوانهم، أشكالهم، لغاتهم، لهجاتهم، ما تفهم منهم شيئًا، والله -سبحانه وتعالى- يسمعهم ويجبهم فلا تختلط عليه الأصوات، ولا يشغله شأن عن شأن! أمر أنت تسمعه الآن وأنت لا تعيش الموقف، لكن وأنت تعيش الموقف، الأمر مختلف، عندما تعيش الموقف فتسمعهم عند رمي الجمرات كلهم يدعون

ويدعون، وكلهم يدعون بأصوات مختلفة، وكُلهم في انكسار وذلّ لرب العالمين، يزداد ذكرك لله، وكانوا من قبل يفتخرون بآبائهم وأنت تفتخر بالله الذي كل هؤلاء عبيده، وأنت تشترك معهم في شرف عبودية رب العالمين.

وأنت وهم تشهدون أنه يسمعكم ويعطيكم، ونحن كلنا نشهد على ذلك، نشهد أنه -سبحانه وتعالى- كم أعطانا وكم آوانا وكم كسانا وكفانا، وكم نجانا بفضله -سبحانه وتعالى-!

فالمقصد أن الذكر مقصد عظيم من مقاصد الحج، والذكر المطلوب هو أن يكون القلب يقظًا يرى الأشياء ببصيرة فتدفعه الأشياء لذكر الله، تأتي الثمرة أن تقول بلسانك، تأتي الثمرة أن يتحرك لسانك بعد تحرك قلبك؛ ومن أجل ذلك الذي يشتاق للحج هو الذي يقول من قلبه: "لبيك اللهم لبيك"، يعني أنا مُقبل، راجٍ، سائل، ذليل، خاضع، مكان ما تضعني سأخضع لك، ما أريد أن أغادر بابك أبدًا! فهذه المعاني عندما تكون من القلب تخرج من اللسان التلبية في مكانها، لا تحتاج جوالًا يقول لك: "اذكر الله"، إنما أنت الذاكر، المستغفر، الشاعر بذنوبك، الشاعر بذنوبك فتستغفر، الشاعر بعظمة الله فتسبّح، الشاعر بنعمة الله فتحمد، ترى آثار كمال صفات الله في كل شيء فتذكره -سبحانه وتعالى- وتشكره، ترى كيف سُخر الناس لبعضهم، أنت تذهب للحج فتري كيف سخر ربنا

هذه الدولة المباركة للحجاج، تري شيئًا عجيبًا وتري الجنود يخدمون الحجاج، هذا كله تسخير من رب العالمين، تسخير الله لو ما ليّن قلوبهم وسهّل عليهم، لما فعلوا، وأنتم تعرفون لو وظفنا من لا يرغب في خدمة الحجاج سيُسيء المعاملة، سيؤذي الناس حوله، لكنك ترانهم يقفون بالساعات، والله مسخّر قلوبهم، وتجد الناس من رؤيتهم لهذه المواقف يدعون لهم بالقوة والصحة والعافية.

فكل الناس ذاكرون نعمة الله عليهم، ويرون الأمن والأمان، ويرون كيف سبب الله -عزَّ وجلَّ- كل الأسباب، أنتم لا تعرفون كيف كانت تهلك الناس سابقًا حتى ترمي الجمرات! "تهلك" هذه كلمة بسيطة فيما كان يحصل في الجمرات وسنوات كثيرة لكن لم يكن هناك إعلام، يعني أحد السنوات حملة من شرق آسيا 30 امرأة في لحظة واحدة دُهِسوا مرة واحدة! يعني حملة من إفريقيا وهؤلاء من شرق آسيا وكلهم نساء ودخلوا في مكان خاطئ، رأوا أنهم حزمة فيستطيعون أن يخترقوا الزحام، فدُهسوا في لحظات! فالذي كان في السابق من الصعوبة بمكان، اليوم هو أيسر ما يكون.

فمن لا يعرف ما كان، لن يذكر الله ويحمده، لكن كل شيء موثّق، بمعنى أنه في ذلك الوقت كان هناك تصوير، والناس يرون هذه الأشياء.

ثم حينما تصل بكل يسر وسهولة تحمد الله على ذلك، فيأتي الذكر في مكانه، وحينما يتمم الله عليك النُّسك ويجعلك ممن وقفت في عرفة وبِت في مزدلفة، وعدت سالمًا إلى منى، كم ستطلب من الله أن يقبل منك العمل؛ لأنك عرفت أنه هو الذي وفقك للوصول، بقي عليك أن تطلب القبول فلن يسكت لسانك عن طلب القبول، وكلما تذكر أنه انقضت عرفة الجميلة يوم لقاء الملك العظيم، وكنت في تلك العشية ممن بارك الله له وأوجده في ذاك المكان، تذكرت نعمة الله فحمدته، ثم انشغلت بطلب القبول من الله، فيبقى الذكر ديدنك، طوال الوقت تبقى ذاكرًا، وهذا من أعظم مقاصد الحج، لكنكم تعرفون ما يحصل للأسف الشديد، أولًا نصل إلى عرفة القطار المسكين يكون ضحية الجميع، وكل الناس يعبرون عن شعورهم، يذكرون القطار أكثر ما يذكرون ربنا، بعدها يقولون لهم: "سنذهب للقطار"، يشعرون أنه أمر مرعب، وطوال الوقت يقولون: "والقطار والقطار" إلى أن تكّل ألسنتهم من كلمة "القطار"، يذكرونه أكثر مما يذكرون الله! ركبوا القطار إلى منى ووصلوا إلى المخيم، وبعد أن يتكلموا عن القطار يبدؤون في الاحتفال بالعيد، فلا تسأل عن النساء ماذا يفعلون! أتوا ومعهم كل أدوات الزينة، ولا يعرفون أن هذه الأيام «أيامُ التشريقِ أيامُ أكْلٍ، وشُرْبٍ، وذِكْرِ اللهِ»[6] لكن علينا أن

[6]() أخرجه أحمد (20722).

نفهم أولًا ما معنى (أيامُ أكْلٍ، وشُرْبٍ)؛ لأن هناك فهومًا تخالف المقاصد.

أنا أسألكم الآن: هل تتصورون أن حديث (أيامُ أكْلٍ، وشُرْبٍ)، يخالف ما قال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «ما ملأ ابنُ آدمَ وعاءً شرًّا من بطنِه حسْبُ ابنِ آدمَ أُكلاتٌ يُقمْنَ صلبَه فإن كان لا محالةَ فثُلثٌ لطعامِه وثلثٌ لشرابِه وثلثٌ لنفسِه»[7]، هل يمكن أن يأتي هذا عكس هذا؟ لا يمكن أن يحصل التناقض.

لماذا إذًا قال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: (أيامُ أكْلٍ، وشُرْبٍ)؟ لأن في هذه الأيام مقارنة بالتي قبلها ما كان هناك أكل وشرب، الناس في اليوم الثامن واليوم التاسع كان أكثر شيء يشغلهم أن يشربوا الماء، ويعبدوا الله ويبيتوا ويأتوا فيتقربون إلى الله بالذبح بقصد أنهم ينحرونها هديًا لله -عزَّ وجلَّ- في تلك الديار وسيبقى لهم اللحم، فالآن اللحم بين أيديهم، فكأن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول لهم: "لا تظنوا أن المطلوب منكم بعد النحر -الآن العبادة النحر- إهمال ما نحرتم والتوجه إلى ذكر الله، بل ما نحرتموه اطبخوه وكلوه وجففوه واحملوا منه وانتفعوا به"، وقد ورد في الحديث أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لما دفع من مزدلفة، وأتى إلى منى ورمى الجمرات -صلَّى الله عليه

---

[7]() أخرجه الترمذي (2380).

وسلَّم- وذبح بيده الشريفة 60 من الإبل، طُبخ له منها وأكل النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وشرب من مرقها فشرّع لنا ذلك، واضح الآن التشريع أنه لا مانع من أن تأكل، أيام أكل وشرب، فليجفف النساء اللحم وليستفيدوا منه ولينتفعوا به، وكل هذا لو نظرت إليه من جهة صحية تري أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- نفع المسلمين بهذا الشرع؛ لأنه لو ذبح وما أكل لكان وقع في منى ما وقع من الأمراض الخطيرة على الصحة لكن شرع لهم أن يأكلوا ويشربوا ولا يظنوا أن الطاعة والعبادة تمنعهم من ذلك، هذا هو الشرع أصلًا، فإذا أكلت وشربت بقي عليك الجزء الثاني، وهو ذكر الله. من يذهب للحج يرى في الواقع خلاف ذلك، يرى أن ذكر الله كأنه ليس هو المطلوب وكأنهم انتهوا من الحج، ترون كيف أن ثقافة الناس -هذه الثقافة المنتشرة- ينهون العمل قبل نهايته! متى ينتهي رمضان -عند الناس- وقيام الليل والاهتمام به؟ ليلة 27 وبعضهم يصلون لليلة 28 إلى هنا انتهى رمضان! وبعدها كل حيّ يذهب في طريقه، الذي يهتم ببيته ويفكر في الضيوف وماذا يشتري لهم وإلى آخره، ما انتهى رمضان بقيت آخر ليلة في رمضان، ومثل السنة الماضية كانت آخر ليلة في رمضان 30، معناها أنه زادت علينا ليلة من نعمة الله -عزَّ وجلَّ-، لكن الحرم خالٍ من الناس،

المساجد خالية من الناس، ماذا حدث؟! أنهوه في الوقت الذي يرون فيه انتهاءه، نفس هذه الصورة في إهمال الأيام الفاضلة، تأتي صورة إهمال اليوم العاشر، واليوم العاشر قد اختلف أهل العلم، في كونه أفضل أم يوم عرفة أفضل؟ من عظمة اليوم العاشر وكيف أن الحج الأكبر فيه؛ لأن في عرفة الحبس، حبس الإنسان نفسه على الدعاء هو العمل الوحيد الذي يقوم به، وهو عمل شريف عظيم وأعظم ما في يوم عرفة هو نزول الربّ، نؤمن به نزولًا يليق بجلاله إلى السماء الدنيا، يباهي بهؤلاء الذين أتوا لطاعته، هذا أعظم ما في يوم عرفة على الإطلاق، وهو الذي يجعل يوم عرفة أعظم من اليوم العاشر، لكن في الأعمال اليوم العاشر أكثر أعمالًا، في رمي الجمرات، في النحر، وحينما تقرأ في سورة الحج تعرف أن مدار الحج دائر حول النحر، وأنه من أهم الأعمال التي يعملها الحجاج أن ينحر ويريق هذه الدماء في سبيل الله، في طواف الإفاضة الذي هو من أعظم الأعمال: وهو لقاء الملك بعد الطهارة، تذهب لبيت الملك تريد أن تتطهر ثم تذهب لعرفة وتبقى في ذلك اللقاء، ثم تعود إلى مكة وتُفيض وتصل إلى البيت الحرام وأنت في أحسن حال من الطهارة من الذنوب، فتطوف وأنت عليك ثياب الطهارة بعدما استغفرت وتبت وسألت الله، فطواف الإفاضة من أهم

أعمال الحج، الذبح من أهم أعمال الحج، رمي الجمرات من أهم أعمال الحج، تجتمع في يوم العاشر أعمال كثيرة يعملها الحاج، وما بين هذه الأعمال يبقى كثرة ذكر الله، والآيات واضحة قال تعالى:

(فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (199) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا)

معناها أن ذكر الله في كل موطن، لكن نذهب اليوم العاشر نجد أنفسنا كأننا في العيد، وهذا يلبس وهذه تتجمل! وكانوا قبل بين أسود وأبيض ثم يصيرون ملونين ولا تعرفهم، ويتفاخر بعضهم على بعض بملابسه، أين الدين؟!

دائمًا من لا يعرف المقاصد يقول لك: "هل حرام؟!" يضعونا في مأزق فلا نستطيع مناقشتهم، أنا الآن لست بصدد مناقشة الحلال والحرام، لا أحد يستطيع أن يحرم زينة الله التي أخرجها لعباده أبدًا، لكن تصور نفسك في منى، تصورها وقد جلست في أرض حرام، تشارك الحرم في حرمتها ثم تصورها وهي في تلك الأيام؛ لأن حرمة منى تزيد مع وجود الحجاج ودخول منسك الحج، وتصور نفسك

أنت بنفس هذا الوضع في الحرم، هل تستطيع أن تكون في الحرم بهذه الصورة؟! لا تستطيع!

فأنت في أرض حرام وفي وقت حرام وفي نُسُك! أنت لم تخرج من النُّسك، حتى لو تحللت، حتى التحلل الأكبر، حتى لو أفضت وعدت أنت داخل النُّسك، المشكلة هي عدم فهمنا للحج، في الصيام الناس يفهمون أن هذا صيام، وعليهم أن يحبسوا أنفسهم في النهار عن الطعام، في الصلاة يفهمون أنهم يقفون ويدخلون تكبيرة الإحرام فيحرمون على أنفسهم الكلام مع الناس، ويظلون يكلمون رب العالمين ويخاطبونه، يفهمون أن هذا وقت صلاة، هذا وقت صيام.

نأتي للحج، وقت الحج من حين تدخل النسك إلى أن تخرج من منى آخر يوم، سواء عجّلت في اليوم الثاني عشر أو أخرت لليوم الثالث عشر، عندما تخرج منها، وإن كنت من أهل طواف الوداع طفت الوداع، وإن كنت لست من أهل طواف الوداع تكون أنهيت، المهم أن تنهي أعمال الحج، عندما تُنهيها تكون خرجت من الحج، كأنك خرجت من الصلاة، أنت محبوس طوال الأيام على الحج، لا يوجد وقت فراغ بين الأيام، في الحج لا توجد مساحة فارغة، تدخل من اليوم الثامن إلى اليوم الثاني عشر، تخرج وأنت داخل الحج

فالمفترض أن تكون معظمًا، ذاكرًا، باقيًا على طاعة الله، باقيًا على تلاوة كتاب الله.

لكن ما يحصل خلاف ذلك، نأتي في الوسط ننظر للأيام على أنها فراغات، لا توجد أعمال!

أسألكم الآن: ما هو العمل الذي في منى عندما نجلس اليوم العاشر واليوم الحادي عشر؟ لو أفاض الناس ذهب الناس طواف الإفاضة، لنُنهي اليوم العاشر، اليوم الحادي عشر والثاني عشر أي الأعمال فيها؟ لا شيء سوى رمي الجمار. كم يأخذ منا؟ رمي الجمار ساعة ساعتين ثلاث ساعات أربع ساعات، بقي كم ساعة في اليوم؟ عشرون ساعة! الناس يتصلون بمعارفهم، ويصفون حملتهم بالتفصيل! نقول: "اصبري حتى تذهبين إلى البلد وتحكي لهم!" لا، لا بد من هنا، من موقع الحدث ينقلون الأحداث! وطبعًا مع التصوير نأكل كذا ونشرب كذا!

لو فهمنا المقاصد ستُحل غالب المشاكل، وعندما لا نفهم المقاصد نبقى على زاوية "لا تحرموا ما أحل الله"، وهذا ليس تحريمًا لما أحل الله إنما أنت اسمك محرم، دخلت الحج وحُرِّم عليك ما كان حلالًا، فدخلت في حالة تختلف عن حالتك وأنت مُحِلّ، وأنت في الأرض الحرام يجب تكون

مُحترمًا لها، وأنت في الشهر الحرام يجب أن تكون محترمًا له، وأنت في النُّسك الذي حرَّم عليك أمورًا، كن مُحترمًا له.

الوقت فاضل، والزمن فاضل، المكان فاضل، النُّسك الذي أنت فيه فاضل، يجب أن تعرف كيف تقدر هذا الفاضل، وإلا فما الفرق بينك وأنت حاجّ وأنت غير حاج؟!

هذه ليست رحلة استراحة، بل حج إلى بيت الله، فلا بد أن يُعظَّم الله ويُذكر الله ولا يُذكر غيره، ما يُذكر غيره! ولذا تجد هنا التوحيد ظاهرًا جدًّا، إذا كان من مقاصد الحج ذكر الله، إذًا هذا يعني ترك ذكر غير الله، ويعني أنك تخرج للحجّ واحدًا لواحدٍ، لا تفكر إلا في الله، وفي رضاه وفي نعمائه وفي جلاله وفي عظمته وفي آلائه، وفيما خصّك به، وفيما أظهر لك من آيات حولك، ثم أنك ترى عجائب حولك، كيف ما تثير فكرك وتجعلك مشغولًا بالله؟!

الحج رحلة تخرج فيها من ديارك لتنفرد في العلاقة مع الله، ومن أجل أن ترجع للحياة وتستطيع أن تعايشها كما ينبغي، في الحج عبادة الله بالإحسان إلى الإخوان والإحسان إلى الخلق حولك، توجد وجوه كثيرة أمامك من البِّر والتقوى.

فالذي يُعِين الخلق على ذكر الله وكثرة ذكر الله أن يكونوا موحدين لله، خرجوا يريدون وجه الله، يريدون الصلة بالله يريدون أن يجددوا اعتكافهم على باب الله، فإذا فهم الإنسان

هذا الأمر، ما ذكر غير الله، ولا انشغل بغير الله، ولا بقي يفكر في رضا غير الله، فلا تجد الرياء، ولا تجد السمعة، ولا تجد من يُباهي بأعماله، ولا تجد من يحكي لك عن أحوال من إخلاصه ومن عبادته ومن طاعته، بل يستحي فيبقى ذاكرًا يستر نفسه وهو يقرأ القرآن، يستر نفسه وهو يذكر الله، يستر نفسه وهو يفعل هذه الأفعال، راغبًا أن يراه الله وحده.

هذه معركة أن تبقى تدفع عن نفسك طلب ثناء الناس، وتبقى طالبًا لثناء الله، إذا كان الأمر كذلك، "لمَ ما شُرع لنا أن يبقى كل واحد في خيمة وحده وننتهي من هذا التعب؟" لا، وفي الحياة ماذا ستفعل؟! أنت لا بد أن تختلط بالناس، وكثير من أحوال الصلاح التي أنت فيها سيرونها الناس، وحتى لو ما رأوها أنت قد تكون في بيتك مريضًا بطلب السمعة فتخرج تقول للناس على عباداتك! فيأتي الحج حتى يربيك على ترك الرياء والسمعة، على الحرص ألا يعرف الناس ما أنت فيه، حتى لو كنت مجاورًا لهم، وهذا كله يحتاج من النفس إلى تخليص، وكثرة ذكر الله، واليقين بأننا في داخل معركة، وقد اتفقنا على أن الحج يختلف عن رمضان في كون أن الشياطين تكون مع الخلق، فتؤزهم أزًّا إلى المعاصي وهم يجاهدونها ويدفعونها ويطلبون من الله أن يحفظهم منها، فهذه هي صورة الحياة.

بقي علينا أن نكمل الكلام عن الذكر، قلنا سابقًا أن أول دافع من دوافع ذكر الله: التفكر.

الدافع الثاني: قراءة كتاب الله.

من دوافع ذكر الله التدبر في كتاب الله، أنت تقرأ القرآن وتكون أكثر صفاءً لا يوجد شيء يشغلك، تكون محبوسًا على دين الله، مثلًا ربات البيوت حينما يذهبون إلى ذاك المكان لا يكونون مشغولين بأعمال البيت، ورعاية الأبناء، ما عندهم إلا طاعة الله، والمرأة العاملة كذلك تكون منقطعة عن العمل، محبوسة على ذكر الله، فقراءة القرآن في هذا الوقت يكون الإنسان فيها أكثر صفاءً وأكثر بعدًا عن الـمُشغلات، فيكون هذا من مُسببات ذكر الله بالقلب واللسان.

بقي أن نقول هنا أيضًا نقطة مهمة وهي:

ما الصور التي يظهر بها ذكر الله؟

ليس الصورة الوحيدة لذكر الله هي خروج اللفظ من اللسان بالتسبيح والتكبير والتهليل، وهذا من أنواع الذكر، لكن الجلوس وسماع العلم الحق الذي من كتاب الله وسنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أحد أنواع ذكر الله، وأنت في هذه الحال مُتذكر لله، عامل لما يُرضي الله، تفكر فيما تسمعه من كلام الله وكلام رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ناوٍ أن تتبع ما أُمرت به، وفي مواقف كثيرة قلبك يكون ناطقًا بالتوبة

والاستغفار، وإن كنت في مكان مناسب بعيد والناس لا يرونك، فأنت سيأتيك حديث عن التوبة والاستغفار فتجد لسانك يلهج بالتوبة بعدما تحرك وجدانك للتوبة.

- فذكر الله يكون بلسانك مع قلبك بالأذكار، أذكار الصباح وأذكار المساء، التسبيح التهليل التكبير.
- ويكون ذكر الله في مجالس الذكر، حتى لو كنت مستمعًا فأنت ذاكر لله في هذه الحالة.
- أيضًا من مواطن الذكر: ساعات التفكر في علم الله، في رحمة الله، ساعات التفكر في قرب الله، في صفات الله وآثارها على الحياة، هذا يعتبر من ذِكر الله وهذا غالبًا يأتي بالثمرة.

كيف يظهر هذا الذكر؟

يظهر بأنك تتفكر في آلائه، تتفكر في نعمائه فتذكر الله، تقرأ كتابه فتذكر الله، تجلس مجلس ذِكر فتذكر الله، ترى أحوال الخلق، ترى أحوال الخلق وتفكر فيهم فتشكر الله على ما أعطاك وما وهبك وما ميزك وتشكر الله -عزَّ وجلَّ- على ما أنعم به عليك، هذا ذكر، ترضى بما قسم الله هذا ذكر؛ لأن الذاكر يقول: "رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد -صلَّى الله عليه وسلَّم- نبيًّا ورسولًا"، هذا بلسانه فإذا رأى أمورًا ورأى الناس أحسن منه في الدنيا يرضى بما قسم الله، يرى

الناس أحسن منه في الدين يسأل الله أن ينعم عليه ويزيده إيمانًا.

هذه كلها مواقف وأحداث تساعد الإنسان على الذكر.

- من أعظم أنواع الذكر: الدعاء

يعتبر من ذكر الله كونك تدعو وتسأل وترجو، الرغبة والرهبة إلى الله من أنواع ذكر الله، الفزع الدائم إلى الله هذا من أنواع ذكر الله، كلما شابك شائبة أو أخافك شيء تفزع إلى الله بقلبك، "أن سكِّني ويسر لي!" هذا من ذكر الله.

فالأمر في ذكر الله واسع جدًا، لكن أهم شيء أنه حتى يؤتي ثماره لا بد أن يكون بعد فِكر، فالذي يُفكر في سيد الاستغفار مثلًا، يفكر في ربوبية الله، "اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك"، عليه أن يفكر هل هو على عهد الله وينتظر وعده؟ هل يتفكر في عهد الله ووعده؟ يتفكر هل إياك نعبد وإياك نستعين حقًا؟ وهل طلب الهداية واضح عنده؟ هل هو متيقن بوعد الله؟ كل هذه أنواع من الذكر.

لكن تصور أن تنشغل بالناس وتتكلم مع الناس ويتكلمون معك، من أين سيأتي الصفاء؟! متى ستجد الصفاء في عقلك؟! ونعود ونقول هذا لا يمنع أن تأكل وقت الطعام، ولا يمنع أن تنام وقت النوم، لكن المقصود أنه سيتوفر معك وقت طويل، المفترض أن تستغله في ذكر الله، وهذا من مقاصد الحج

العظيمة وهو من التوحيد، يعني هو بنفسه مقصد وهو من التوحيد.

مر معنا الحديث: «إنما جُعِلَ الطوافُ بالبيتِ والسعيُ بينَ الصفا والمروةِ ورميُ الجمارِ لإقامةِ ذكرِ اللهِ»"ومن هذه اللام ومن اللام التي في سورة البقرة عرفنا أن هذا من المقاصد، فمعناه لا بد من تحقيقه.

من الأذكار التي نقولها في الحج: التلبية ومن صيغ التلبية أن يقول: "لبيك حجًّا لا رياء فيها ولا سمعة" وواضح جدًّا كون أن الإخلاص قرين الذكر يعني المُلبي ذاكر لله، التلبية من أنواع الذكر التي تكون في الحج، وحينما تلبي تودّ أن تكون هذه التلبية خالصة لوجه الله، ولذلك من صيغ التلبية السابقة: "لبيك حجًا لا رياء فيها ولا سمعة"، وكما قال جابر -رضي الله عنه- حين وصف إهلال الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: «فأَهَلَّ بالتَّوحيدِ»[8] هذا الكلام حتى نقول كيف يدخل الذكر في التوحيد، الحج من مقاصده الذكر، والذكر سيكون من مقاصد التوحيد أيضًا، فهذه الجمل التي سمعناها دالة على أن الذكر داخل في التوحيد، والتلبية من الذكر، ونحن نُلبي فنقول: "لبيك حجًا لا رياء فيها ولا سمعة"، ونقول مثلما قال جابر في الحديث واصفًا إهلال النبي -صلَّى

[8]() أخرجه مسلم (1218).

الله عليه وسلَّم-: «فأهَلَّ بالتَّوحيدِ» ، أي قال: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك."

من الأدلة التي تدل على أن الذكر مقصد الحج: قول النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «أفضلُ الحجِّ العَجُّ والثَّجُّ»[9]، والعجّ: هو رفع الصوت بالتلبية.

وحينما نتكلم عن المرأة نقول: من المؤكد أن المقصود برفع الصوت حينما تكون خالية من الرجال، الآن ما هي خالية من الرجال: تلبي بصوت منخفض، لا تترك التلبية، بل تُسمع نفسها، تتحرك شفتاها وتُسمع، وتُذكر النساء حولها، تذكر محارمها بالتلبية.

وهذا من الأشياء المؤسفة كما تعلمون أنه كان في أيام النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- والصحابة ومن بعدهم منى هذه تُرجّ بالتلبية، ثم إذا جاء التكبير بالعيد تُرجّ بالتكبير، اليوم ما تجد آثارًا لهذه الأشياء، وهذا من ضعف الإيمان، من مظاهر ضعف الإيمان ترك أهم مظاهر الحج، أفضل ما في الحج: العجّ والثجّ، العجّ بمعنى رفع الصوت والثجّ بمعنى إسالة الدماء المقصود به النحر.

هذه المعاني مررنا عليها، أن معنى التلبية: الإجابة. لبيك تكون إجابة لمن يدعو ولبيك تكون الانقياد ولبيك أيضًا بمعنى الإقامة أنا مقيم على طاعتك من لبى بالمكان، ولبيك بمعنى

---

[9]() أخرجه الترمذي (2998).

المحبة من امرأة لبَّة، ولبيك بمعنى الإخلاص لُبّ الشيء، هذا كله من المعاني ولبيك أيضًا من الاقتراب، الإلباب بمعنى الاقتراب، لبيك اللهم لبيك يعني مستجيب متقرب إليك.

إذًا الإنسان الملبي يقول: "يا رب أجيبك إجابة بعد إجابة، فأنا خاضع لك مُنقادٌ لك مُستعد لما حملتني من الأمانة، طاعة واستسلامًا دون إكراه أو تردد، بالعكس أنا محب مقبل راغب في طاعتك!"

مقاصد الحج

(3) سلامة القلب والقيام بالعبادات القلبية

من مقاصد الحج التي تدخل في التوحيد: سلامة القلب والقيام بالعبادات القلبية.

المقصد العظيم: توحيد الله.

تحت هذا المقصد يوجد: ذكر الله والقيام بالعبادات القلبية.

العبادات القلبية: هي روح العبادات في الأصل؛ لأنها لا تكون إلا بعد الإيمان بكمال صفات الله.

فمن علم أن الله -عزَّ وجلَّ- قريب تجد في قلبه مناجاة الله، تجده يناجي الله، ومن علم أن الله -عزَّ وجلَّ- له الملك وأنه على كل شيء قدير كانت رغبته إلى الله، ومن علم أن الله شديد العقاب كانت رهبته من الله، ومن علم عن الله -عزَّ وجلَّ- أنه يعطي السائلين بل يمنُّ عليهم قبل أن يسألوه تجد أنه لا ييأس من روح الله بل يُحسن الظنَّ بالله.

وهكذا تجد أن العبادات القلبية مبنية على المعرفة الصحيحة لله -عزَّ وجلَّ-، إذا صحت المعرفة صحت العبادات القلبية؛ ولذا هذا الأمر متصل بالتوحيد وظهوره في الحج عجيب جدًّا؛ لأن الانسان في الحج يبقى بينه وبين ربه الصلة العظيمة، أنت تركت كل الناس وأقبلت على رب العالمين، وتعلم أنه يسمعك فستناجيه بقلبك، وتعلم أنه مُطلع عليك

فستخلص وتريد وجهه وستدفع عن نفسك الرياء والسمعة، وستدافع ما تستطيع التفات قلبك لغير الله، وستدفع وساوس الشيطان وهكذا تكون العبادات القلبية مظهرًا واضحًا من مظاهر الحج وفيها يكون التوحيد.

نأتي إلى أول وأهم العبادات القلبية التي تكون في الحج وهي: عبادة الإخلاص.

وهذه من أهم العبادات القلبية على الإطلاق، ومع هذا المقصد عبادة الصدق، يعني الإخلاص والصدق يشرحان معًا لاتصالهما سويًّا في معانٍ، نقدم الكلام عن الصدق تعريفًا، ثم نقول كلامًا مختصرًا عن ظهوره في الحج.

الصدق: هو الباعث الذي يبعثك على القيام بالعمل قبل أن تدخل العمل، الصدق هو باعث الإنسان الصادق، باعثه الصدق والإنسان الكاذب باعثه كذب.

بمعنى أن الصادق الذي يريد الله وثناء الله تجده ينبعث للعمل ما يُفكر في غير رضا الله، ما عنده أي باعث غير رضا الله والله ما يترك الصادق والكاذب مختلطين، لا بد أن يميزهم، الكاذب يكون له بواعث للعمل غير رضا الله، باعث العمل ليس أثناء العمل، يعني قبل أن يدخل العمل أحيانًا تكون من بواعث الحج مجرد العادة، نقرب البواعث قبل أن نضرب مثالًا على الحج، الآن هذه تبرّ أمها وتحسن إليها،

البرّ بنفسه عمل، الشريعة تأمر به لكن هي قبل أن تدخل إلى برها ما الذي يبعثها على البر؟ قد يبعثها طلب وجه الله، وقد يبعثها أنها حينما ترضى ستعطيها أموالًا، وحينما ترضى ستأذن لها بالخروج، فهي تعمل العمل الصحيح لكن باعثها الأساسي الذي قبل العمل وقبل أي شيء: كذب. مع طول المدة ينسى الإنسان ماذا كان باعثه؟ ثم يقول: "أنا أُحسِن لها راغبًا لوجه الله"، وهو يفكر فيما سيربحه من إرث على المدى الطويل! فيستمر بالبِّر ظنًّا منه أنه مخلص، ويمدح نفسه، والناس يقولون له: "الله يكتب لك الأجر!" وهو يقول: "آمين!" فتكون كذبة يصدقها الإنسان، وهذه مسألة ما هي باليسيرة، يعني تحليل النية، تحليل الدافع ليس بالشيء اليسير أبدًا، والله يُميز الصادق من الكاذب، يميزه بالاختبارات، فتأتي الاختبارات وتأتي المواقف ويظهر فيها صدق الإنسان.

الحج من الأعمال التي يدخل فيها عدم صدق النية، عدم صدق الباعث، يعني في بعض ديار المسلمين، يكون الحاجّ له مكانة في القبول مكانة حتى في البيع والشراء وهذا موجود في بعض ديار المسلمين، في هذا المكان حجّ هذا التاجر فيعتبرونه أنه استقام وأنه على وجه الأمانة؛ وأن بيعه ما يكون إلا أمينًا؛ لأنه حجّ وعمل العمل العظيم، فهو يخرج للحج وهذا باعثه، وهذا الكلام ليس من ضرب الخيال هذا

واقعي، أو يحب يفتخر بأن يُقال له "الحاج فلان" فخرًا، أو يُقال: "هذا يحج كل سنة"، هذه كلها مقاصد وبواعث خاطئة عن الحج، يذهب هناك في الحج يكون مخلصًا لا يشرك مع الله أحدًا، يطوف ويسعى مخلصًا في نفس أعماله، لكن باعثه فيه إشكال وهذه مشكلة عظيمة.

يأتي الحج من أجل أن نخلص مقاصدنا، وتأتي اختبارات وامتحانات تبيِّن للإنسان من هو؟ وماذا يريد؟ يصعب الحج ومن صعب إلى صعب ومن ضيق إلى ضيق وهو صابر مشتاق محب مستعد لأن يبذل نفسه لكن المهم أن يصل، وأنتم تجدون كثيرًا من الحجاج والمعتمرين يقولون: "نتمنى أن تكون منيتنا هنا!" يريدون أن يموتوا هنا؛ من شوقهم للبيت ولما وجدوا من لذه، يخافون أن يعودوا إلى ديارهم فيفقدوها، فهؤلاء ليسوا كمن أتى ليتفاخر أو لأجل مصلحة.

من مقاصد الحج: العبادات القلبية، نقاشها واسع، إن شاء الله نختمها اللقاء القادم بأمر الله.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته